يامر بالعدل والاحسان فالفرض والعدل يجري الانسان اذا عمله اثيب
واذا تركه عوقب والندب والاحسان يجري الانسان اذا عمله اثيب
واذا تركه لم يعاقب والانصاف من العدل والتفضيل والبر من الاحسان
والانصاف هو مقابلة الخير من الخير والشر من الشر بما يوازيه والتفضيل والبر
مقابلة الخير بأكثر منه والشر بأقل منه والاحسان والتفضيل احتياط
في العدالة والانصاف ليومن فيه من وقوع خلافية وذلك انك اذا
زدت في اعطاء ما عليك ونقصت في اخذ مالك فقد احتطت واخذت
بالحزم كدفع زيادة زكاة الى الفقير وترك ما احل لك تناوله من مال اليتيم
والعدالة وان كانت جميلة فالتفضل احسن منها ولذلك قال تعالى
فمن استوفى حقه وتحرى العدالة ولم ينتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم
من سبيل وقال بعده ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقال تعالى
وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم اشارة الى ان الاحسان والتفضيل احسن
منهما ومال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة والانفاق انما يكون محسنا ومتفضلا بعد
ان يكون عادلا ومنصفا فاما من ترك ما يلزمه ثم خرج مما يلزمه فلا يقال له متفضل ولا محسن تعالى
الفضل الامر بكون مستوفيا لنفسه وموفيا لغيره فاما الحاكم المستوفي والموفي لغيره فليس له
الا خرج العدالة والنصفة فصل العلوم من حيث الكيفية الحقيقية
ضربان تصور وتصديق فالتصور ان يعرف الانسان معنى الشيء صح عنده ذلك بدلالة او لم
والتصديق هو ان يتصوره فيثبت عنده بدلالة تقتضي صحته والتصديق على ثلاثة
اضرب اما بغلبة الظن وهو ان يكون عليه دلالة قد تعترضها شبهة توهنها او تبطلها
كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واما
بعلم اليقين وهو ان يصير بحيث يعلم ويعلم انه يعلم وانه لا يعترضه شبهة توهنه كالعلم
مثلا بان ثلاثة وثلاثة مستوية لا يصح ان يكون الامر من ذلك ولا اقل كما قال تعالى انما
المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الاية واما بعين اليقين وهو ان يترايا العقل
الشيء ويعاينه بصيرته في حال اليقظة والنوم وقد نبه الله تعالى على الوجوه بقوله
تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين فاما التصور المجرد فللعامة
الذين قيل لهم ولوروه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
واما غلبة الظن فللعامة الذين مدحهم الله بقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم

واما علم اليقين

واما علم اليقين فللخاصة واما عين اليقين ففي الدنيا للانبيا وليعض
الصديقين والى هذه اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تنام عيناي
ولا ينام قلبي وبقوله الخارج من خلقي كما اراني من قدامي وقال
امير المومنين لو كشف الغطا ما ازددت يقينا وقال بعض الحكما علم
اليقين تحصيل للعقل بالفكر والذكر فان العقل بفكره اي يحدثه يدرك
المعارف وبذكره يستحضرها اذا انسيها او غفل عنها ويذهنه ينظر
اليها دايما كما ننظر نحن الى المحسوس غير غايب عن ابصارنا بلا حاجة
الى تحث وطلب وتفكر وتذكر ولذلك قيل بعقل فينظر الملك بالفكر
والملايكة تنظر اليه دايما بالذهن من غير حاجة الى تفكر وتصل فصل
للناس في استفادة العلم وافادته ثلاثة احوال الحال استفادته فقط
وحال استفادة من فوقه وافادة من دونه وحال افادة فقط وقال من يستحق
ان يوجد مفيدا غير مستفيد وفوق كل ذي علم عليم الى ان ينتهي الامر الى علام الغيوب
تعالى وقد نبه الله تعالى على الحاجة الى الاستفادة بما حكاه من قول موسى لصاحبه
هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ونبه بما ذكر في قصة سليمان عن الهدهد
بقوله احطت بما لم تحط به على ان الكبير قد يفتقر الى الصغير في بعض العلوم فاذا الانسان
ما دام حيا يجب ان لا يخرج عن كونه مستفيدا او مفيدا كما قال عليه الصلاة والسلام
الناس عالم ومتعلم وما سواهما هج كل كون الغرض من العبادة وتطهير
النفس واجتلاب محبة الله تعالى عباده العبادة لينتفع هو تعالى بها
انتفاع المولى باستعباد عبده واستخدام خدمه فان الله تعالى غني عن العالمين
ولا يوخذ بهم فقد قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر بل كلفهم
ليزيل الخاسهم وامراضهم النفسية فبذلك يمكنه ان تحصلوا حياة ابدية
وسلامة باقية فان من لم يكون ميتا بالاضافة الى اصحاب الدار الاخرة
وفاقد العين التي بها يعرفهم والمسمع الذي يسمع به تحاورهم
واللسان الذي به يخاطبونه وبخاطبهم والعقل الذي به يعقلهم
وليس تلك الحياة والعين والسمع للانسان في الحياة الدنيا وكيف
يكون اياها وقد نفى الله كل ذلك عن الكفار وجعلهم اموانا وصما
بكما عميا فالانسان له قوة على تحصيل تلك الامور في البدا امره

وان اهمل نفسه فاتته عند تلك القوة فلا يكون له بعده قبول لذلك كما قيل
اذا صار رمادا فلا يقبل بعده ذكاء فمن استمر في كفره وفسقه فتمادى في غيه صار كما مكتوب
او مريض واصم لا يقبل شفاء ولذلك قال تعالى فانهم تكاهدهم القوة انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا
ولوا مدبرين وقال الصم بكم عمي فهم لا يعقلون وقال ايات الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك
نظر المغشي عليه من الموت وقال انما المشركون نجس وقال للمؤمنين لينذر من كان حيا وقال
فيهم اولي الايدي والابصار فبين ان استفادة الحيوة والصحة والطهارة قبل ان تبطل عنه
قوي قبول ذلك فصار حيا سميعا بصيرا طاهرا وحصل له زاده كما امر بقوله تعالى وتزودوا
فان خير الزاد التقوى واهتدى بالدليل الموصوف بقوله تعالى انك لتهدي الى صراط مستقيم
صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض فاقتدى بالموصوف بين
بقوله اولئك يسارعون في الخيرات فحذر من يفلح فيحصل له هذه السعادة كما قال تعالى وتوبوا
الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون

كه بيان الامراض والاخلاس

التي لا يمكن ازالتها الا بالشرع كما ان في بدن الانشا عوارض وامور موجودة
عند الولادة وعوارض توجد حالا فحالا لحكمة تقتضي ذلك وهي تعد اجناسا
لا بد من اماطتها كلها واماطة فضولها كالسلا والسرة والقلفة ﷺ
والعقيقة الموجودة بالصبي عند الولادة وكالاوساخ والقمل والظفر وشعر
العانة وشعر الابط كذا في نفس الانشا عوارض هي اجناسات وامراض
نفسانية تلزم اماطتها كالجهل والطمع والعجلة والشح والظلم ودل
على ذلك كون ذلك مخلوقا فيه وامره باماطة فضلاته ماذكره الله تعالى
في مواضع من كتابه بقوله تعالى خلق الانشا من عجل فذكر انه مخلوق منه كما نرى ثم امره
بان يتحرز عن نفسه وان لا يستعين به فقال سأوريكم اياتي فلا تستعجلون وقوله
انه كان ظلوما جهولا ثم امره بالعلم والعدل في غير مواضع من كتابه وقوله تعالى
واحضرت الانفس الشح ثم قال ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فامره بتجنب الشح
مع احضارها اياه وقوله اذا الانشا خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير
منوعا وصفه بالكفور والقنوط بقوله وكان الانشا قنوطا وفي موضع كفورا فاد حال
عليه كان تنبيها على ان ذلك فيه غريزة موجودة له قبيلا هو ثم طاري عليه وقوله
وكان الانشا اكثر شيء جدلا ثم نهى عن اكثار الجدال فالانشا محتاج ان يستعمل هذه القوي
في الدنيا عما يجب وفي وقت ما يجب وبقدر ما يجب وان يميل فضولا نهما قبل خروجه
من الدنيا

القليل من العمل ولا يرضى الله تعالى الا الاخلاص كما قال الا لله الدين الخالص
فان من فعل خيرا مثل ان يصلي لانه تفق اجتماعه مع المصلين فساءه
او اكره على ان يصلي وصلاها في شهر رمضان دون سائر الاوقات
او لان يناله بها جاها او مالا فليس ذلك مما يستحق به محمدة وكذا من
ترك قبيحا اما اتفاقا او اضطرارا او خوفا او في زمان دون زمان او
لان يقال بذلك امرأة نيويا فليس بمحمود ولهذا قال تعالى الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى الاية
تنبيها ان من لم ينفق ماله هكذا يعلوه خوف من الفقر وخوف من الانفاق
لا تحصل له بذلك فضيلة ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى الاية

ك ارتداد الانشا عن طريق الخير والشر

فيما يتجراه من الخير والشر حالتان حالة يتمكن فيها من الارتداد على اجزائه فيما
يتعاطاه ان خيرا وان شرا وذلك قبل ان يمعن في سيره وبتناها في صره وحالة
يتعذر عليه فيها الارتداد على اجزائه بل لا يكون له سبيل الى الرجوع وذلك ان
امعن في سيره وتناها في صره وذلك ان كل من كان متعاطيا الفعل خير فتكاسل
عنه او متعاطيا الفعل شر فلم يقلع عنه او رثه كسلة ضيقة صدر بتحرج الخير كما
قال تعالى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا واشرح صدره بفعل الشر كما
قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان استمر على ذلك ولم يقلع اورثه
ذلك ريا على قلبه كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فان تمادى
في ذلك واستمر اورثه ذلك غشاوة كما قال فاغشيناهم فهم لا يبصرون فان
تمادى ازداد اورثه ذلك طبعا وختما كما قال ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة وقوله افرايت من اتخذ الهه هواه فان ازداد صار
ذلك قفلا كما قال تعالى ام على قلوب اقفالها فان تمادى صار قلبه ميتا قال تعالى
له حياة ولا ينفعه الايات والنذر كما قال تعالى انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء
اذا ما ينذرون ومن حيث ان الله تعالى علم احوال من بلغ هذا المبلغ انه لا يتوب
ولا يوب قال ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم
واولئك هم الضالون ولم يرد انهم ان اتوا بالايمان لا تقبل توبتهم بل بنى ذلك انهم
لا يتوبون فتقبل توبتهم فذكر منتهى الفعل ودل على ذلك مبدؤه وهذا

كحماة كلامهم لا ترى الضب بها ينجحر اي ليس بها ضب فينجحر والنفي وان
تناول الجنس الضب فهو في الحقيقة لوجود الضب بها وعلى هذا قوله تعالى ان
الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم سبيلا اي لم يكونوا ليتوبوا فيغفر لهم وعلى هذا قال تعالى
انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الاية تنبيها ان هؤلاء الذين
ترجى لهم التوبة وعلى هذه الجملة نبه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اذا اذنب الرجل
نكت على قلبه سوداء فاذا اذنب ثانيا نكت اخرى فلا يزال كذلك حتى يصير
قلبه كلون الشاة الرمداء وفي خبر اخر الذنب على الذنب حتى يسود القلب فلا
يرجى له الاابة وكذا حال الانسان فيما يتعاطاه من خير فان منه ما يصير في اقتراف
الحسنة اوبرته صيره حسنا كما وصف الله به الصابرين في مواضع من كتابه
وكما قال ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا فان استمر في ذلك بعض الاستمرار
اهتز ونشط وانشرح صدره كما قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام فان دام على ذلك امتحن الله قلبه للتقوى كما قال تعالى اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وكما وصفه في هذه السورة بقوله ولكن الله
حبب اليكم الايمان الاية فان تزايد في فعله انضم اليه من الله تعالى ما عنه يمنع
ودع بغتة كما قال تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم فحق الانسان ان لا يسامح نفسه في الاجتهاد ولا تشغل
خير يعود وهو لا يتخلص لها في شر تكتسبه فتعالج صغير الذنب
بفضل ارتكاب الكبير والاخلال بقليل الخير يودي الى الاخلال
بكثيره كما قال الفيرزدق واسود الفجر يبدو قبل ابيضه
واول الغيث قطر ثم ينسكب وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله
ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الاية
فبين ان قولهم للذين كرهوا ما انزل الله سنطيعكم في بعض
الامر اذي بهم الى الارتداد وقال ان الذين تولوا منكم يوم التقى
الجمعان الاية فبين ان بعض ما كسبوا اذي بهم الى الانهزام
فالمتدرب في فعل الخير المتقوي فيه يصير بحيث يكون للهمن الله واقي تحفظ عن
الافعال القبيحة وتحثه على الافعال الحسنة وهذا معنى العصمة وعلى هذا نبه

في صفة اولياية

في صفة اولياية بقوله
والمتدرب في فعل الشر المتقوي فيه قد يصير بحيث يكون له ما اركبه
من القبائح باعث بهزة ودواع بعثه الطرق الافعال السيئة ويسد عليه
طرق الافعال الحسنة وعلى نبه في صفة اعدايه بقوله انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون وقال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين الى اخره وقال انا جعلنا الشياطين اوليا للذين
لا يؤمنون وقد نسب الله هداية العبد واضلاله جميعا الى نفسه من حيث
انه جعل خلقة الانسان وطبعه بحيث انه اذا تعاطى فعلا ان خيرا وان
شرا واستمر عليه يصير طبعا له وملكة ثم لا يرجع عنه ولهذا نسب المنع من
الايمان الى نفسه الابعد ان ذكر ما كان من اساءة العبد نحو قوله انا جعلنا
الشياطين اوليا للذين لا يؤمنون فخص الذين لا يؤمنون بان جعل
الشياطين اوليا هم وقال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع
كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب
السعير وقال ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم
فهم يعمهون لا قدر ما في الوسع من اكتساب السعادة الانسانية
لما كان على هيئة العالم اوجد فيه كلما اوجد في العالم فلما كان
في العالم ما يتاتى اصلاحها وحيوانات لا يمكن تاديبها كذا في ذات
الانسان قوى لا يتاتى اصلاحها وتهذيبها ومكان له مع ذلك شيطانا
عما امر به وقصور عما خلق يه وتقصير ولهذا قال تعالى في الانسان
ما اكفره الى قوله لما يقض ما امره فبين ان الانسان لا يكاد يخرج من دنياه
وقد قضى وطره ولذلك وجب على الانسان ان يجتهد في اداء ما امكنه
ويطهر نفسه بقدر ما تيسر له والرغبة الى الله في تكميلها فقصر فيه
ويتحقق انه اذا فعل ما امكنه فقد اعذر لقوله لا يكلف الله نفسا
الا وسعها فاذا فعل ما امكنه فقد ترشح لان يزيل الله عنه باقي السيات
كما قال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الاية وقال ان
تجتنبوا كبايرما تنهون عنه الاية ولهذا امرنا ان نديم الدعا بقوله تعالى
ربنا لا تزغ قلوبنا وبقوله ربنا لا تؤخذنا ان نسينا او اخطانا وقوله